

12 سؤال من كابل (الجزء الاول)



12 سؤال من كابل

(الجزء الاول)

مقدمة بين يدى الأسئلة :

وصلتني رسالة من الأستاذ {إسماعيل} وهو إعلامي أفغاني مقيم في كابل . لديه أسئلة موجهة لي تحت عنوان (12 سؤال .. لمصطفى حامد) .

ولكنني وجدت أن العدد الحقيقي للأسئلة يتخطى ذلك العدد بكثير - وفي ذلك (تناقض) - وقد إشتكى صاحب الاسئلة من أنه ضبط تناقضات في بعض مواقف . ولكنه أوجد لي عذرا لأننا - حسب قوله - {نعيش في زمن ملئ بالإضطرابات والفتن والحروب . زمن يختنق فيه الحق ويرقص فيه الباطل على عرش المقدسات. فالذين إدَّعوا سابقا أنهم أهل الحق ، وقيمون الحد على كل من يخالف الشريعة ، هم

أنفسهم اليوم يتزاحمون على الخمارات وصالات القمار . وأتذكر وجوههم فى الحالتين { .

ويقول أيضا: {إن ما نراه اليوم ليس جديداً ، ولكننا كنا بعيدين جداً عن الصورة الحقيقية إلى حد الصدمة { . ثم ينقل تعليق لصديق له على حاله هذا : (إحمد الله أن ذهنك قد نضج ، ولكن يجب أن تدفع الثمن . وكل إنسان طيب أو شرير سيدفع الثمن وكل إنسان سيقدر مساره عندما يبلغ هذه النقطة) .

ثم يعتذر بلباقة عن خشونة بعض الأسئلة ، أو صيغتها غير المجاملة ، معطياً لي الحق فى الرد أو عدم الرد على أى سؤال . وفى الحقيقة كانت الأسئلة وصياغتها مهذبة جداً . ولا يمكن مقارنتها بأسئلة وأساليب كثيرة وصلتني من العالم العربى حيث بلاغة الهجاء لامست قاع الإنحطاط البعيد.

- وبالنسبة للتناقض فى آرائى ومواقفى ، فلم أجد له أثراً فيما أورده من أسئلة . ولكن كما ذكرت فى مقدمة كتابى الأول (15 طلقة فى سبيل الله) فإن ما كتبه كان تسجيلاً للأحداث وأيضاً للحالة الفكرية التى كانت سائدة بين العرب وقتها . وقلت أن العديد من آرائى تبدلت بمرور الزمن وتوالي الأحداث ، ومع تكشف الكثير من جوانب الواقع التى لم تكن واضحة فى البداية . وأنى أوردت آرائى كما كانت وقتها بما فيها من قصور أو أخطاء ، فلم أدعى الحكمة بأثر رجعى كما يقولون . وأظن أن ذلك ليس تناقضاً بل تطوراً طبيعياً للأفكار، وهو ما يناقض الجمود والإنغلاق .

نبدأ الجولة مع الأسئلة القادمة من كابول العزيزة على قلوبنا . وكانت إجاباتى مستفيضة أحياناً - حتى يطول أمد اللقاء . وقد أجبت على الأسئلة جميعاً.

وتمنيت لو قضيت وقتاً أطول فى الحوار الممتع .. بالنسبة لي على الأقل .

بقلم : مصطفى حامد - ابو الوليد المصري

12 سؤال من كابل ... (الحلقة - 1)

السؤال - الأول

قلت فى بعض الحوارات التى أجريتها أنك لست من القاعدة. ولكن الكثير من التحليلات والأخبار سواء المحلية أو العالمية يقولون أنك قيادى أو مستشار أو مساعد أو كل ذلك .

- أنت ربطت نفسك عائلياً مع القاعدة بزواج إبتك من سيف العدل . وكان لك حضور فى جلسات كثيرة بها كبار القاعدة، وعشت بينهم. وأيضاً بايعت الملا عمر نيابة عن بن لادن وكل القاعدة. كيف تشرح التناقض الموجود؟؟.

– من جهة أخرى بعض المحللين الذين يكلمونى يقولون لى : مصطفى حامد من أكبر مشاوري الطلبة، بدليل أنك كنت أول عربى يبائع الملا عمر نيابة عن العرب وعن نفسك. وحتى هذه اللحظة أنت إلى جانب الطلبة ومستمر معهم بأى وسيلة متاحة لك .

هل لك رد على هذه التحليلات ؟؟.

إجابة السؤال 1 :

علاقتى مع القاعدة - وحركة طالبان .

أولا - علاقتى بالقاعدة :

كررت مرارا أننى لم أكن يوما عضواً فى تنظيم القاعدة . ولم يمنع ذلك من أن يكون مؤسسي القاعدة هم من أقرب أصدقائى . خاصة أبو حفص المصرى وأبوعبيده البنشيري .

وهما المؤسسَان التنفيذيان للقاعدة بداية من صيف 1987 بتوجيه من أبوعبدالله (أسامة بن لادن). فمنذ عام 1985 عملنا كفريق فى منطقة خوست (لأول مرة تعمل مجموعة من العرب كفريق). نعمل مكتملين أحيانا ، وفى معظم الأوقات أعمل مع صديقى الشهيد عبد الرحمن المصرى منفردين. وأنضم إلينا لفترة (أبو الخير المصرى) الذى إلتحق بتنظيم الجهاد ثم بالقاعدة فى مرحلة متأخرة . وأفراد قلائل آخرين شاركونا أحيانا.

تعرفت على بن لادن شخصيا مع بدايات 1988 وتكلمنا خلال عدة جلسات عن جهاد أفغانستان وعن نظرية حرب العصابات التى كانت مدهشة بالنسبة للعرب ويرونها غير قابلة للتطبيق.

ومثل كثيرين غيرى ممن قابلوا بن لادن فأحبوه وقدروا صفاته الرائعة، التى نادرا ما تجتمع فى شخص واحد ، فقد إعتبرت أننا أصبحنا أصدقاء مقربين ، وذلك يرجع إلى كرم أخلاقه.

وكأصدقاء قريبين كنا نتزاور ونتشاور ونتناقش. نتفق أحيانا ونختلف أحيانا أكثر ، وكانت علاقاتنا تتوثق بإستمرار . لم تهتز لكثرة الخلاف فى وجهات النظر حول تقييم جهاد أفغانستان والجهاد عموما . وكنا نتشاور حتى فى المسائل الشخصية والعائلية . وقد شاورتهما فيما يتعلق بزواج بناتى. وأخذت بمشورتهما بداية من زواج أبنتى الكبرى بسيف العدل الذى كان قد إلتحق حديثا بالقاعدة فى عام 1990 تقريبا.

لم تتوتر العلاقة إلا بعد التهديد العلنى العنيف الذى وجهه بن لادن للولايات المتحدة قبل عملية سبتمبر - وقد ذكرت لقائنا الأخير بتفاصيله تحت عنوان وداعاً قندهار فى كتاب صليب فى سماء قندهار . واستمر خلافى شديدا مع عدد من منتسبى القاعدة ، الذين لم تشملهم العلاقات التى كانت تجمعنى مع المؤسسين الثلاثة : بن لادن/ أبوحفص/ أبوعبيده . فلم تسنح فرصة لتوثيق العلاقات الشخصية معهم، لا فى الحياه العامة ، ولا فى الجبهة التى تبنى أقوى العلاقات بين المجاهدين .

- لم يكن في خلافاتنا أى عنصر شخصي ، بل كنا أقرب الأصدقاء ، لهذا ظن أكثر من نظر إلينا من الخارج أن الذى يجمعنا كان رباطاً تنظيمياً وثيقاً . وأنى ربما كنت قيادياً أو مشاوراً أو أى منصب تنظيمي آخر . لقد كانت علاقتنا أقوى وأرقى من كل ذلك. رحمهم الله جميعا ، فقد تركوا خلفهم عالماً خالياً إلا من الأشباح .

ثانيا - علاقتي بحركة طالبان :

حسب متابعتي فإن طلبة العلوم الشرعية (طالبان) ظهوروا خلال الحرب السوفيتية فى تجمعات صغيرة فى بعض الجبهات ، ولم يكن لهم تنظيماً خاصاً ، بل إنتموا إلى تنظيمات جهادية قائمة، أولها تنظيم إنقلاب إسلامي (مولوى نصر الله منصور) . وإنقلاب إسلامي (مولوى محمد نبى محمدى) ، وحزب إسلامي (يونس خالص) . وقابلت الكثير منهم فى جبهات مولوى جلال الدين حقانى . هؤلاء الشباب وشيوخهم الذين تمكنت من رؤيتهم ، ومجموعاتهم المجاهدة، هم من أعطوني ثقة غير محدودة فى مستقبل الإسلام فى أفغانستان .

وأول قادتهم الكبار الذين قابلتهم كان مولوى إحسان الله إحسان . وكنت أعتبره قائدا مثاليا ذو فكر إسلامي عميق ورؤية سياسية شاملة ونافذة . قابلته أولاً فى خوست بعد أن دخلتها قوات طالبان تحت قيادته فى عام 1995 . ثم قابلته ومعى بن لادن ومجموعة صغيرة من العرب فى غرفة ضيقة إلى جانب أحد سلالم (القصر الجمهوري) فى كابل . كنا مكسبين فى غرفة مزدحمة بالكتب وكان الفصل شتاءً . وحدثنا الشيخ حديثاً لم نسمع مثله قبلاً ، وجميعنا خرجنا بأعين باكية ، وعرق يتصبب . وظننت أن لهذا الرجل دور كبير فى المستقبل . ولكننا والإسلام والأفغان خسرناه فى الحرب الأهلية فى محافظة بغلان . وقد ذكرت التفاصيل فى كتاب (صليب فى سماء قندهار).

- طالبان وبطولاتهم التى عاصرناها كانت كثيرة جدا فى مرحلة الحرب مع السوفييت لهذا عندما ذهبنا لمبايعة الملا عمر - رحمه الله - أميراً للمؤمنين ، لم أكن ذاهباً إلى المجهول ، بل متوجها صوب أمل طال إنتظاره . ورغم قصر مدة تعارفنا، وقلة المناسبات التى جمعتنا ، شعرت دوما برباط قوي يربطني مع هذا الشخص النادر - ولا أشك أن كثيرين جدا قد إنتابهم نفس الشعور تجاهه .

ومع المجموعة القليلة الذين عرفتهم من حركة طالبان شعرت بالأخوة الوثيقة التى تربطنا منذ أيام الجهاد الأولى والمعارك مع الشيوعيين والسوفييت . لهذا لم تكن هناك عقبات فى تبادل وجهات النظر فى مسائل عديدة - بعضها هام - بدون أن يكون ذلك موصولاً برباط تنظيمي، فهناك ما هو أقوى من الرباط التنظيمي، وهو الأخوة التى تربط المسلمين، إذا أتيحت لهم الفرصة المناسبة لتحقيق معانيها.

وبمعنى آخر كانت علاقتي بحركة طالبان - وأمير المؤمنين - إمتداداً لعلاقتي بالقاعدة وأسامة بن لادن من تلك الناحية. وليس ما يهذى به (محللون ومتابعون من هناك أو هنا). فأكثر أقوالهم تعبر عن أمراض العصر الحالى وتشوّهاته الفكرية ، التى إنتقلت من الغرب إلى الشرق المسلم.

لماذا بايعت الملا عمر ؟ ونيابة عن مَنْ ؟

كانت هناك عدة نقاط تمثل مصدر ثابت للإختلاف بينى وبين المجاهدين العرب عموماً وعلى وجه أخص الأصدقاء الثلاثة : بن لادن - أبو عبيده - أبو حفص . من تلك النقاط : دور العرب فى أفغانستان - وأفضل أسلوب لمشاركتهم القتالية - وخطورة التوتر المذهبي الذى يوقد نيرانه الوهابيون والسلفيون العرب . حتى وصلنا لمرحلة إنتهاء الحرب ودور العرب القادم إلى أفغانستان بعد التحرير .

لم نصل إلى حل لإختلاف وجهات النظر ، ولا حتى تقارب - ولا حاجة للقول أن ذلك لم يكن ليؤثر فى علاقتنا الأخوية المتينة ، ولا تبادل وجهات النظر فى كل شئ ، مهما كانت درجة الخلاف أو الوفاق فى كل موضوع .

- كنت منذ البداية المبكرة جداً أحذر من إستطعت من المجاهدين العرب أننا سوف نقع ضحية الغدر الدولي فى نهاية المطاف ، عندما ينتهى الإحتياج إلينا فى أفغانستان . وقتها سوف نُعْتَلَق ونُسَجَن ونُقْتَل ، ويشوهون سمعتنا بكل الطرق . فاعتبر أكثرهم ذلك إغراقاً فى التشاؤم ، أو تثبيطاً عن الجهاد . تكلمت عن الفساد المستشرى فى أحزاب بشاور، وسلوكهم المُعْوَج فى الجبهات، فأضافوا لي إتهاماً جديداً هو العمل ضد الجهاد . وإتهمنى (سياف) فى حديث مع برنامج إذاعى سعودى بأن (مايقوله "فلان" - يقصدنى - وما يقوله راديو موسكو يخرج من مشكاة واحدة) - وانتشر إلى حد ما إتهامى بأننى شيعى متخفى يعمل على تخريب الجهاد . والطريف أن صفوة من اليساريين العرب ، وبناءً على مقالاتى فى صحيفة الإتحاد الإماراتية - إتهمونى بأننى عميل أمريكى فى أفغانستان يعمل لصالح الإمبريالية الأمريكية .

وهكذا فى نفس الوقت تلقيت إتهامين متضادين ، أعمل فيهما ضد الإتحاد السوفيتى والولايات المتحدة - كعميل مستأجر - فى أفغانستان !! .

حذرت إخوانى المجاهدين وفى طليعتهم قيادات القاعدة وإقترحت عليهم الإستمرار فى أفغانستان وتشكيل قبيلة عربية - تدير شئونها بنفسها إلى أن تنتظم دولة إسلامية . فَنُساهِم فى بناء البلد وندافع عنه بدون أن نثقل عليه من أى ناحية .

والنتيجة : لم يستمع أحد . وبعد فتح كابول بدأ العرب يغادرون باكستان أفواجا تطاردهم قوات الأمن الباكستانية ، يدعمها طيف واسع من أجهزة المخابرات العربية .

بشكل عام كان فتح كابول فى أبريل 1992 إيذاناً بعودة العرب إلى أوكارهم القديمة، والشروع فى تجارب جهادية جديدة لم تكن سعيدة ولا ناجحة ، بل ذاخرة بكافة دروس التجربة الأفغانية التى أسى فهمها . إلى أن عاد بن لادن إلى جلال آباد ، مُبْعِداً من الخرطوم فى مايو 1996 .

فبدأ رجوع العرب أفراداً وجماعات . بعضهم إلتف حول بن لادن وآخرون فضلوا الإستقلال . والجميع يعمل بنفس طريقتهم القديمة فى بشاور . أوضاع أفغانستان لم تكن تحتل ذلك، لكن فكر العرب كله كان منحصراً فى تنمية جماعاتهم، مع قليل من الإنتباه إلى أفغانستان نفسها .

وقتها طرحتُ فكرة مبايعة - أمير المؤمنين الملا عمر - والإندماج فى الحالة الإفغانية بدلا من هذا المسار الخطير من التشرزم . فقال العرب أن الإمارة الإسلامية هى دولة أفغانية - وأمير المؤمنين - هو أمير على

الأفغان فقط . فى الحقفة كانوا فءافعون بأستماتة عن إستمرار تنظفماتهم؁ فى حالة التشرزم والءلاف التى أصبءت طبعفة تلازمهم وتتقدم على ما سواها؁ ءتى على مصالح الإسلام والمسلمفن .

شعرت بالءطر الكامن ءلف تلك المفاهفم ؁ ففقررت أن أثبت لهم العكس فتءركت من كابول إلى قنءهار ؁ وقدمتُ بفعى للملا محمد عمر رحمه الله . ثم ءاولت إقناع العرب بالبعفة فمائلوا لأسابفع ءتى وافق بن لاءن على أن أذهب أنا وأبابع الملا محمد عمر نفاة عنه ؁ وفعلت . وبعءها لا أءرى كفف بافع الآءرون ومى . ففء إنتهى ءورى فى موضوع البعفة عنء ذلك الءء . ولكن لاءظت إبتعاء العرب عنى ءءرففا - بءون أسباب ظاهرة . وعلمت أننى "مءهم" بفنهم أننى (طالبانى) ولست (عربفا) . وكان ذلك على ما أظن آءر "إءهام" أصاب به فى أفغانستان .

- بعء التشرء وسقوط نظام الإمارة بالءزو الأمريكى - وءتاباتى عن أءطاء العرب والقاعدة فى أفغانستان . وءورهم الضار والءطفر ففما ءرى من أءءاء إنتهت بإءءلال البلاء وسقط الإمارة ؁ ءءت مظلة وفرها هجوم 11 سبءمبر ؁ عنءها بءأت إءهامات من نوع ءءفء ؁ وهو أننى شفعى واقع ءءت سببرة (إفران) - ءاصة وأننى ءُضء ءوارا فى موقع "مافا" شارك ففه لأول مرة شفعة من أفغانستان إلى ءانب إعلامفن من ءركة طالبان . وتلك كانت ءطفئتى الكبرى فى نظر بقافا القاعدة وءءافل السلفية الءهادفة - وهى ءطفئفة ءفر قابلة للمءو أوالففران .

صهر سف العءل:

ضمن لائءة الإءهام التى فوجها لى الإعلام الءكومى العربى؁ والءولى - هو زواج إبنئى من سف العءل . وفعءرون ذلك قرفة لا فمكن ءءضها على صءة ما ففسءونه من أكاءفب ءول علاقات؁ ءنائفة وءأمرفة . بإءءبار أن أى شئ فءعلق بى أو بالقاعدة أو بالمءاهففن عموما هو نوع من الإءرام والإرهاب والتأمرف الءفى . وأن أوئق المعلومات عن ءقفقة أءوالنا ونوافانا هو ءقارفرهم الإستءبارفة المءمورة .

كمفن مءفءرات .. سبباً للمصاهرة:

ءعرفء على سف العءل قبل أشهر من زواجه بإبنئى . لم فقدمه لى أءء للءعارف ؁ بل هو قءم نفسه لى عبر كمن بالمءفءرات!!" ؁ إستهءفنئى ذات مساء أنا ومءموءعئى بفنما نحن مءءهفن صوب الءط الأول؁ للإشءباك لىلا مع مطار ءوسء .

فبفنما نحن فى (بفك أب) مءهالك وسط واءى ضفق ءءا بفن تلال ءكسوها الشءفرات ؁ وفءءرقه ءءول ماء صءفر ؁ ءوى إنفءار ؁ وطارت إءءى الشءفرات لئسءقر أمام السائق على الزءا ء الأمافى . ركاب الصءءوق الءفى - من شباب المءاهففن الأفغان - كانوا فى لمح البصر ءءت السفارة ؁ وأنا ظللت مءءمءاً إلى ءانب السائق فى شءاعة مصءرها ءصولف على معلومة مبكرة بوءوء كمن قبل أن ءءرك بالسفارة . أمءنى بالمعلومة أءء شباب القاعدة المءعاطفن مع مشروعنا على مطار ءوسء . أعقب الإنفءار شلال

من الطلقات السريعة - فى الهواء طبعاً - ثم تقافز أصحاب الكمين للإطمئنان على سلامتنا، وأصروا على أن نتناول الشاى معهم فى غرفة معلقة فوق جرف يشرف على المكان.

وكان يقودهم شاب ذو ملامح شرق آسيوية - بأعين ضيقة ماكرة - وإبتسامة بريئة لمتآمر محترف. كان خفيف الحركة نشيطاً ضاحكاً - أحببته كثيراً رغم غدره بمجموعتى . وقلت فى نفسى إن هذا الفتى محارب أصيل، ينتظره مستقبل كبير لو أنه ظل حياً .

بعد أشهر تقدم للزواج من أبنتى - ولم أكن فى حاجة لمشاورة أحد - لولا محبتى لعمالقة القاعدة أبو عبيدة وأبوحفص - فقد إستشرتهما فى أمر الزواج فوافقا على الفور .

- واضح من هذه القصة العجيبة أنه لم يكن زواجاً سياسياً بينى وبين القاعدة ، بل كان كمين بالمتفجرات - كان يستهدف فى الأصل أبو عبيده وأبوحفص ولكنه أصابنى ومجموعتى . فكان سبباً فى المصاهرة - وسبباً فى كمين آخر قام به سيف مع واحد من أشجع مقاتلى القاعدة وهو أبوإسلام - شهيد الشيشان - لتدمير دبابة للعدو تستحکم فوق جبل فى خط الدفاع الأول . وذلك بناء على إقتراحى الذى وافق عليه مولوى جلال الدين حقانى. وقد فشل الكمين فى تدمير الدبابة المستهدفة لكنه وثق علاقتى بإثنين من أفضل شباب القاعدة وقتها، وهما الشابان سيف العدل وأبو إسلام . أما الدبابة فقد غنمها المجاهدون سليمة فى معارك فتح خوست.

بقلم :

مصطفى حامد - ابو الوليد المصري

المصدر:

مافا السياسي (ادب المطاريد)

www.mafa.world

